SYMBOL SEMANTICS IN THE PALESTINIAN STORY

دلالات الرمز في القصة الفلسطينية

Sunbul Jamal, Research Scholar, NUML, Islamabad, sunbuljamal7@gmail.com
Muhammad Badshah, Assistant Professor, NUML, Islamabad, badshahsa@yahoo.com

ABSTRACT:
The short story in the occupied lands began to make its way after the 1967 setback, and prove its existence, and its return intensifies with the passage of time, and with the increase in the number of literary and non-literary newspapers and magazines that used to devote a pillar on their pages to literature and criticism, through which writers spread their creativity, which led many writers To significantly use the symbol. The connotations of the symbol in the stories, indicating the symbol to the land, occupation and resistance, as well as the symbol to the relationship of the Arab regimes to the Palestinian cause and the relationship between the Arab citizen and the ruling authority. In this article, I have taken care to clarify the connotations of the symbol in the Palestinian story with suitable examples.

KEYWORDS: *Occupied, Palestinian story, Symbol, connotations, Semantics.*

الرمز

لقد عرف الإنسان التعبير الرمزي منذ أقدم العصور، فمنذ أن وجد ظهر الأرض، وفي هذا الكون، يحاول عبر نسق الرمز معرفة الكون والعالم، واكتشاف مجاهله، وتفسيره، وفهم أسراره وغوامضه، وذلك لأن "السلوك غير الرمزي عند الإنسان العاقل هو سلوك المرء حيث هو حيوان، أما السلوك الرمزي فهو سلوك الشخص نفسه من حيث هو إنسان،[1] يحاول تطوير نفسه والسمو بتفكيره، ومعرفة ظواهر الحياة وعلاقاتها، فهو منذ أقدم العهود اعتاد على إنشاء نماذج من الكلمات والصور، لتكثيل ظواهر الحياة وعلاقاتها كما تظهرها تجاربه، فالإنسان منذ ظهوره في الوجود ظل منهكاً في تجسيد عالمه وسلوكه وأفكاره بأساليب مختلفة، تشتمل فيما تشتمل على الأصوات والأشياء والصور والرسوم والخرائط والمخطوطات والكلمات المدونة والرموز.[2]

وإن استخدام الرمز يظل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بفكر الإنسان وبوعيه وبميله ونزعاته الروحية والعقلية، فكلمة الرمز في اليونانية كانت تعني (قطعة من خزف) أو من أي إناء ضيافة، دلالة على الاهتمام بالضيف، والكلمة في أصلها مشتقة من الفعل اليوناني الذي يعني (ألقي في الوقت نفسه)، أي هو يعني (الجمع في حركة واحدة بين الإشارة والشئ المشار إليه،[3] أي إن فكرة التشابه بين الإشارة والمشار إليه كانت موجودة في الأصل.

كان أرسطو أقدم من تناول الرمز بمفهومه الفني، وعنده أن الكلمات رموز لمعاني الأشياء، أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولاً، ثم التجريدية المنعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس، يقول: "الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات

المنطوقة،[4] كما أنه قسم الرمز إلى ثلاثة مستويات رئيسية: الرمز النظري أو المنطقي، وهو الذي يتجه بواسطة العلاقة الرمزية إلى المعرفة، والرمز العملي، وهو الذي يعني الفعل، والرمز الشعري أو الجمالي، وهو الذي يعني حالة باطنية معقدة من أحوال النفس وموقفاً عاطفياً أو وجدانياً، والذي يفهم من تقسيم أرسطو للرمز أنه رد مستوياته إلى المنطق والأخلاق والفن، المنطق لا يعدو أن يكون تصنيفاً رمزياً للمعرفة الصورية الخالصة، والرمز الأخلاقي العملي يعني بالمبادئ والقواعد التي ينكشف في مجالات الإبداع الفني.[5]

أما كلمة الرمز فهي ليست غربية ولا جديدة على اللغة العربية، فقد وردت في التراث العربي بمعناها الإشاري، فهي لا تعني في "الأدب العربي القديم الإيحاء النفسي الرحب غير المقيد أو المحدد، بل تعني الإشارة، أو التعبير غير المباشر، وتدل على المعنى اللغوي العام، وليس المعنى الفني الضيق،[6] فقد جاءت في القرآن الكريم قوله تعالى: في قصة زكريا عليه السلام **"قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا"** [7] بالمعنى السابق، وكذلك في المعاجم اللغوية،[8] ولم تخرج الكتب البلاغية والنقدية[9] على المعنى الإشاري.

وقد ظل مفهوم الرمز عند العرب لغوياً إشارياً لا يتعداه إلى أن جاء قدامة بن جعفر في كتابة نقد النثر،[10] الذي يعد أول من تكلم عن الرمز بالمعنى الإصطلاحي،[11] حيث استطاع أن ينتقل بالرمز من معناه ومفهوم اللغوي الإشاري إلى المفهوم الإصطلاحي، كما أنه أخذ على يديه أبعاداً جديدة، لم تعرف من قبل، وتعرض له بشكل أوسع، وبصورة أدق من سابقية، ولكنه اقتصر دلالته بين المتكلم وبعض الناس،[12] حيث قال عن الرمز: "هو ما أخفي من الكلام، وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسماً من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس، أو حرفاً من حروف المعجم، ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه، فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما، مرموزاً عن غيرهما"،[13] وبذلك يكون قد انتقل بالرمز نقله نوعية.

ولقد عرف التراث العربي أيضاً الرمز الصوفي الذي أقترب من الرمز الأدبي، ثم إن مفهوم الرمز اتسع عند البلاغيين وأصبح لا يمثل أداة تعبيرية مثل الاستعارة والمجاز المرسل والكناية، وإن هذه المجموعة الأخيرة بأنها هي التي تنضوي تحت تسمية الرمز،[14] وغيرها من المباحث التي اشتملت عليها، واستوعبتها الكتب البلاغية والنقدية في التراث. وإذا كان "استخدام الرمز في الأدب يعود إلى بداية الأدب نفسه، إلا أن الوعي النقدي بالرمز كوسيلة أدبية فعالة، لم يتبلور حتى القرن التاسع عشر".[15]

دلالات الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة

تعبير قراءات وثقافة وتجارب الأديب الفنية معيناً ثراً يمتح منه ويختار رموزه التي يشكلها ويصيغها في قالب فني، بحيث تؤدي وظيفة دلالية وجمالية تتناغم مع تجربته وانفعلاته، وتتفق مع أفكاره ورؤاه، يكون قادرة على حمل شحنات إيحائية عميقة.

وإن لجوء القاص الفلسطيني في الأرض المحتلة إلى الرمز لم يكن مقصوداً لذاته، أو لمجرد التجريب، أو جرياً وراء التقليد والمحاكاة، أو لإثبات قدرته الفنية، وإنما جاء تعبيراً عن حاجة وضرورة واقعية، عملت على إيجاده، ودفعت الأدباء إلى استخدامه كوسيلة للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم، وذلك منذ أدرك الاحتلال المقيت دور الأدباء في توعية الجماهير وتنويرهم وتحريضهم، عمل على كبت الحريات، وفرض الحصار الثقافي، وملاحقة الأدباء، والزوج بهم في غياهب السجون، وتحديد إقامتهم، وإبعاد بعضهم خارج الأرض المحتلة،[16] وسن القوانين الجائرة التي تحد من عملية الإبداع والتعبير،[17] وخنق حرية التعبير عن طريق إخضاع المقالات والإصدارات للرقابة العسكرية.

وإذا كان الاتجاه نحو الرمز في القصة القصيرة داخل الوطن المحتل ضرورة ملجئة أكثر من كونه أمراً شكلياً، فإن من اللافت للنظر، أن طبيعة الصراع المحتدم بين الشعب الفلسطيني والعدو الصهيوني جعل الرموز تكاد تدور حول موضوعات بعينها تربط وتتعلق بذلك الصراع،[18] ولها تأثير مباشر على حياة ومستقبل مصير الشعب الفلسطيني، وأهم هذه الموضوعات التي لاقت حضوراً طاغياً في القصة القصيرة الرمزية، الأرض والاحتلال والمقاومة وعلاقة الأنظمة العربية بالقضية الفلسطينية، والعلاقة بين المواطن العربي والسلطة الحاكمة.

أولاً: الرمز إلى الأرض:

تكتسب الأرض قيمة كبيرة في نفس الإنسان بحكم كونها تشكل مقوياً أساسياً من مقومات وجوده الحضارية والاقتصادية، وتزداد وتقوى العلاقة بين الإنسان وأرضه حين تتعرض للاحتلال أو للمصادرة والضياع، لذا يرتبط الإنسان الفلسطيني بالأرض ارتباطاً وثيقاً، يرجع في المقام الأول لا إلى خصوصية التجربة الفلسطينية، فهي تجربة مرة وقاسية، خاض خلالها الإنسان الفلسطيني صراعاً مريراً مع العدو، كانت الأرض محوره، حيث أن الفكر الصهيوني فكر استيطاني يركز على الأرض، ويرفع شعار أرض إسرائيل الكبرى، ويعمل على تجريد الشعب الفلسطيني من أرضه قسراً،[19] لذلك وجد الشعب الفلسطيني نفسه بعيداً عن أرضه خارج حدود الوطن، موزعاً في مناطق شتى أو لاجئاً فوق ترابه الوطني، يقبع في مخيمات البؤس والشقاء في حنين دائم وشوق مستمر للعودة إلى أرضه، دون أن يفرط أو يتنازل عن هذا الحق.

ومما زاد من قيمة الأرض ومكانتها لدى الإنسان الفلسطيني كثرة التضحيات التي قدمها ضد الغزاة المحتلين في سبيل استرداد هذه الأرض، التي غدت تشكل جزءاً من حياته.

لذلك احتل موضوع الأرض حيزاً كبيراً في الأدب الفلسطيني حيث ركز عليه الأدباء، وأضفوا على الأرض من السمات والصفات ما جعلها في مرتبة الإنسان، والذي عمل على إضفاء هذه الصفات التي تصل إلى درجة التقديس المعاناة المتواصلة وحياة الذل والهيوان التي ذاقها أبناء هذا الشعب في الغربة والمنفى وفي أماكن اللجوء واشتات.

وبناء عليه، فإن من أهم الرموز الأدبية الفلسطينية في القصة القصيرة في الأرض المحتلة هو الرمز إلى الأرض والتمسك بها، حيث استخدام كتاب الأرض المحتلة للرمز إلى الأرض مظاهر وتجليات كثيرة، وتظهر في الأم والمرأة والحبيبة والشجر والنبات وغير ذلك، وتتميز قصص الكاتب "توفيق فياض" في هذا المجال، بتناولها ومعالجتها القضية السياسية العامة، فهي الأثيرة عنده، والتي تشغل وتشد انتباهه، وتملأ عليه حياته ففي معظم أعماله الأدبية تبقى شغله الشاغل، وتظل فلسطين والوطن والأرض تقف وراء كل ما كتب، ووراء رموزها، فهي الأيام والحبيبة، وأبطاله يمثلون الإنسان الفلسطيني الذي لا يفرط بأرضه، ويفديها بأغلى ما يملك، ويتشبث بها، ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة.[20] ففي مسرحية "بيت الجنون" التي صدرت عام 1965م، وكبتها قبل مجموعته الرائعة "الشارع الأصفر"، نجد فلسطين هي الأم التي فقدت حياتها وهي تلد في المرحاض، حيث تشكل رمزاً للوطن القتيل، ففي الوقت الذي تفقد فيه الحياة، كانت تعطيها له، وتمثل الحبيبة "لبنى" الوطن التي سرعان ما تبدل وتغير شكلها عندما اغتصبها الغريب، وكذلك تمثل الوطن الآلهة الأم المعطائة التي لا تموت إلا بعد أن تمنح الحياة لمن بعدها.

وتمثل مجموعة "الشارع الأصفر" ملحمة الإنسان والأرض، وقصص هذه المجموعة كلها مبنية على الرمز، حيث نجد ذلك الالتحام الرائع بالأرض والمأساة، والقدر الرائعة على المزج بين الوطن وأشياء نعشقها ونحبها ونتعلق بها، ونجد الارتباط القوي بين الوطن وأبنائه والتشبث بترابه.

ففي قصة "أم الخير" نجد شخصية "أم الخير" تمثل الأرض وتشكل رمزاً للوطن، فهي التي أحبها كل أبنا القرية، وهي كذلك أحبتهم جميعاً، "فكان بيت أم الخير يضم جميع أرض القرية وجبالها، وكانت قنطرتاه تتسعان حتى تضما بينهما كل بلادنا، صيفها وخريفها، شتائها وربيعها".[21]

ثانياً: الرمز إلى الاحتلال

لقد كان كتاب القصة القصيرة في الأرض المحتلة على وعي ودراية بالعدو المحتل ومخططاته، فعالت قصصهم الرمزية موضوعات تتعلق بطبيعة الاحتلال، وكشفت عن مراميه وأهدافه وأساليبه الخبيثة في السيطرة على الأرض، والتخلص من أصحابها.

وتجسد قصة "الشيخ الضرير"[22] عن طريق الرمز أساليب التحايل والخداع التي يتبعها اليهود في الاستيلاء على الأرض، حيث تعتبر شخصية الخواجة رمزاً لذلك.

فعبر حدث متطور ولغة عربية فصيحة، وحوار يكشف عن طبيعة الشخصيات تأتي هذه القصة التي تتخذ من قرية فلسطينية مكاناً للصراع مع الصهانية، وتتحدث عن شروع الخواجة في شراء أملاك القرية بالتدرج، فيقوم الشيخ الضرير "واثق" بتحذير أهل القرية من قرب وقوع كارثة، وحين يهزأ من ذلك مختار القرية وأبو جلال اللذان يمثلان رمزاً للفئة المتواطئة التي تبرر أفعال الخواجة، يذكرهم الشيخ قائلًا: أنسيتم "الخواجة" الذي اشترى دكان "ناظم" البقال؟ لم تنسوا حتماً ولكنكم تتجاهلون، تدفنون رؤوسكم في الرمل كالنعامة، حتى يأتي يوم ينقض فيه عليكم فتصرخون صرخة الفزع ثم تهوون صرعى.[23]

وواضح أن الكارثة هي النكبة التي ستحل بالشعب حين يستفحل خطر اليهود، بتمكنهم من الاستيلاء على أكبر مساحة من الأرض بشتى الطرق ثم إجبارهم أهلها على الرحيل.

وإمعاناً في التضليل والخداع، لجأ الخواجة إلى حيلة ماكرة بإعلان إسلامه ونيته الزواج من فاطمة شقيقة أبي جلال، فيهب "الشيخ الضرير" و "المعلم زهير" بالتحذير من خطورة الموقف، وأن اعتناق الخواجة للإسلام مجرد خدعة، لتسهيل مهمته في الاستيلاء على الأرض، حيث يقول المعلم زهير رداً على المختار وأبي جلال: إنه أسلم كي نحمي شرهة أطماعه، إذن فإسلامه تضليل وكذب، وربما بات الأمر أخطر بعد إسلام الخواجة لأن حليته ستجوز على البسطاء، وما أكثرهم.[24]

ويعقب الشيخ الضرير على كلام المختار وأبي جلال بأن إسلامه حقيقي: لا يا مختار، إن الثعلب لا يغير طبيعته حين يرتدي فروة الحمل، ولابد أن يعي الحمقى الحقيقة في القريب العاجل.[25]

ومن الملاحظ أن المعلم زهير والشيخ الضرير يمثلان رمزاً للفئة الوطنية الواعية، فالشيخ وإن كان قد فقد بصره، فلم يفقد بصيرته.

وبالرغم من كثرة الشخصيات في القصة إلا أنها لم تشكل عبئاً عليها، حيث لعبت أدواراً مهمة وتكفلت باستكمال أبعاد ودلالات المضامين،[26] وحملت رموزاً وإيحاءات معينة، ويبدو أن استخدام شخصية الشيخ الضرير كرمز للفئة الواعية المتيقظة لمخاطر العدو غير مقنعة، لأنه لم يكف عن شراء أرض وممتلكات أهل القرية وحاولة تهجيرهم وطردهم.

وتشير قصة "أين ولدي" لفاروق مواسي "إلى الاحتلال واغتصابه فلسطين وتهجيره أهلها، وما ترتب على ذلك من مآس وويلات، وذلك عن طريق الرمز، حيث يلجأ الكاتب إلى تكثيف الكثير من الأحداث، واختصار الزمن بأسلوب سردي بسيط يخلو من التعبيرات الصور الرمزية الموحية.

وتتحدث القصة عن إنسان يقيم في بيته بأمان واطمئنان، أشق على فقير ضعيف الحال فآواه، وأسكنه في ركن كن بيته، وبعد فترة من الزمن أخذ يدعي أحقيته في البيت، وأنه ورثه عن أجداده، وكرماً منه يريد أن يأخذ نصف الدار فقط، في إشارة واضحة إلى قرار التقسيم، لكن صاحب الدار الحقيقي الشخص المعتدي مع جماعة من أقاربه مستعيناً ببعض العلائلات الأخرى إلى طرد صاحب البيت وزوجته وأولاده بقوة السلاح، فيذهب إلى حياة التشرد والخيام، دون أن يكف عن الحنين إلى بيته الجميل، وغرس حب

الوطن في أبنائه بعد أن خذله أقاربه، حيث يقول الكاتب: "وبسبب معارضتي وجدته يقتحم عليّ غرفة النوم وكان معه جماعة من أقاربه ومن العلائلات التي تكرهنا، وتسلحت بالعزم والإرادة أن أطرده فهو لا يصون الجميل والمعروف.

فالقاص يصور جزيرة جميلة يسودها هدوء تام، وطيورها تعيش بأمن وسلام، وفجأة ينقلب الحال "ففي يوم قائظ يتبدل الجو السكان، فعصف فجأة دون سابق إنذار، ويهب إعصار مروع على الجزيرة، يقتلع الأشجار ويهدم البيوت والمنازل، ويودي بحياة المئات من الطيور، ولا ينجو إلا قلة قليلة، تشتت في الفيافي أصقاع الأرض البعيدة وفي أعقاب هذا الزلزال المدمر تسللت إلى الجزيرة على غفلة من الأمر أسراب من البراغيث، وحطت رحالها عازمة البقاء في "الأرض المحررة" التي بشرها بها من يقبع في الخفاء، وأما الفئة التي تشبثت بالجزيرة فقد أذاقتها البراغيث ألوان العذاب.[27]

ويقصد الكاتب بالإعصار النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني على يد العدو، ونرى أن الكاتب جانبه الصواب باستعماله الإعصار رمزاً للنكبة، فالإعصار يحدث فجأة بينما النكبة لها أسبابها المعروفة، فقد صور القاص البراغيث وهي تغزو الجزيرة بعد أن ضربها الإعصار وكأنها غير مسئولة عن النكبة ولا علاقة لها بها، وكذلك لا نتفق مع الكاتب في أن الذين نجوا من النكبة قلة قليلة، وأن العدو تسلل على غفلة، ويبدو أن هناك عدم تطابق بين الرمز والواقع.

وقد حاول الكاتب صياغة قصة فنية، لكنه أضعف بناءها الفني بمبالغته في تفاصيل وصف الجزيرة: جمالها، موقعها، حدودها، تضاريسها، مكانها، ومناخها، وقد استغرق ذلك أكثر من ثلثي القصة، مما أضر بالتوازن في توزيع أحداثها، وكذلك مقابلته الحرفية بين أحداث القصة والواقع مما جعلها تبدو متكلفة.

وقد وقعت القصة في تناقض سببه مثالية الكاتب، فلو كانت الطيور على هذا القدر من التعاون الوثيق، والانسجام التام لما استطاعت البراغيث غزوها، أو لكانت النتيجة أخف مما حدث، ويمكن أن يلمس القارئ الصورة التي رسمها الكاتب في هذه الفقرة، تقطن الجزيرة مجموعات من الطيور المختلفة الألوان والجنسيات، طيور بريئة، وادعة تعيش مع بعضها البعض في تآلف ومحبة وانسجام، طابع الجد والنشاط يسود حياة الطيور، خلاق، دائب ومستمر يشبه مجتمع الجزيرة في دأبه ونشاطه خلية الحل لا تهدأ، روح الأنانية مستأصلة من النفوس، الهم الذي يشغل بال كل طير هو المشاركة بكل قدراته لخدمة جزيرة والذود عن حياضها بالتعاون مع رفاقة الآخرين.[28]

وبعض كتاب القصة القصيرة في الأرض المحتلة تأثروا باسلوب الرمز في الأدب العربي: قديمة وحديثه، وذلك حين رمزوا إلى واقع الاحتلال من خلال حيوان، على طريقة "إبن المقفع" في كتابه "كليلة ودمنة" أحمد شوقي في قصائده التي نظمها على لسان الطير والحيوان.

وتأتي قصة "محمد أيوب" "الوحش" الذي رمز به إلى الاحتلال ضمن الرموز التقليدية التي أطلقها كتاب الأرض المحتلة على الاحتلال مثل: الغربان والذئاب والضباع والأفاعي الغيلان، وما إلى ذلك من رموز.

ثالثاً: الرمز إلى المقاومة

وجد كتاب القصة القصيرة في الأرض المحتلة في موضوع المقاومة مجالاً خصباً للقيام بدورهم في معركة التصدي للمحتل وجرائمه، سواء من خلال فضح جرائمه، أو تصوير البطولات والتضحيات الفلسطينية، أو الدعوة إلى الصمود والتمسك بالأرض، والعمل فيها، ورفض الهجرة لإحباط مخططات الاحتلال وإفشالها، ورفض التعاون معه، بالإضافة إلى النضال وأكثرها فعالية، والذي يسعى إلى تحرير الأرض والإنسان، وعلاوة على تمجيد البطولات بغرض تغريز هذه الصورة لدى الشعب.

فقصة "جسر على النهر الحزين" تحاول أن تؤكد من خلال الرمز على أن المقاومة والتضحية والفداء هي طريق الخلاص، الذي يؤدي إلى الانعتاق من الواقع السيئ، والمعاناة المستمرة، فهذه الفكرة هي التي تسيطر على ذهن الكاتب، لذلك يسعى إلى إثبات صحتها والإقناع بها من خلال إيراد صور من حياة المعاناة المختلفة التي يتقلب الإنسان الفلسطيني فيها. ويعرض القاص من خلال أسلوبه السردي البسيط، ولغته السهلة، التي تقترب من اللهجة الفلسطينية المفعلة بالأمثال الشعبية، المنسجمة مع موضوع القصة، فكأن القاص يرمي من كل ذلك إلى أن يتوصل إلى النتيجة الحتمية وهي ضرورة المقاومة.

ومن ذلك ما نراه في هذا المقتبس "الليل طال، والبرد قارس، بفترس جسمي، يخترق ويعيشش في عظامي، وأنا أبكي بلا دموع، تنقلت من صحراء إلى جزيرة، ومن قرية إلى مدينة، ضعت في دروب وعرة مدة طويلة، وقفت حائراً على مفترقات طرق، سألت بذل عن الدرب وعندما اقترب مني أحدهم قيدني وكمم فمي، وعصب عيني بخرقة سوداء وقادني إلى زنزانة تحت الأرض، لا فرق بين الليل والنهار".[29]

يشير الكاتب إلى تعرض الإنسان الفلسطيني اللإهمال من قبل العالم، حيث لم يأبه أحد لمحنته، ولم يرد ذكره في وسائل الإعلام المختلفة، حتى الإخوة العرب الذين يرمز إليهم بالحيوان كانوا في وادٍ والفلسطيني في وادٍ آخر: جلست على الأرض قرب مقهى في مدينة لجيراننا، كان

رابعاً: الرمز إلى علاقة الأنظمة العربية بالقضية الفلسطينية

لقد عالجت القصة الفلسطينية في الأرض المحتلة كل الأمور التي لها علاقة بالقضية الفلسطينية، ومن ضمن الموضوعات التي عالجتها علاقة الأنظمة العربية بهذه القضية، بحكم الارتباط القوي والعلاقة الوثيقة بين الاثنين، فإن ما يجري على ساحة الوطن العربي ينعكس سلباً أو إيجاباً على قضية الفلسطينية، وإن سوء الواقع العربي وتردية أو نهوضه وتماسكه يصب في خانة القضية.

وقد أدرك الكتاب هذا الأمر، فتناولوه في قصصهم، وكان تركيزهم ينصب على الموقف السلبي للأنظمة العربية من القضية الفلسطينية، وعلى المطاردة والملاحقة والمعاملة السيئة والمزرية التي يلقاها المواطن الفلسطيني من هذه الأنظمة.

ففي قصة "الشمعة والريح"[30] ينتقد الكاتب من خلال الرمز مواقف القادة العرب من القضية الفلسطينية، ومشيراً إلى أن اجتماعاتهم وما يصدر عنها من بيانات مجرد مزايدات وهاترات وشعارات فارغة.

ويبدو أن الرمز في هذه القصة غير ناضج وغير متماسك، فالقاص يستخدم كلمات لها مدلولات واقعية، فالشمعة رمز للمقاومة والريح رمز للعدو و "مجمع القواد" إشارة إلى اجتماعات القادة العرب، فهو لم يستطع أن يخلق من مجموع هذه المواقف ترابطاً تماسكاً بحيث يشكل في النهاية معادلاً موضوعياً، وهذا الأمر نلاحظه في بعض قصصه الرمزية.

فالكتاب ينتقد بشدة القادة العرب، ويسخر من مواقفهم، وطريقة معالجتهم للقضية الفلسطينية التي لا تتسم بالجدية ولا تنسجم مع روح العصر، حيث يقول: "اجتمع "مجمع القواد" في مدينة "ص" وبحث قضية "الشمعة الريح"، وعلى المائدة كانت مجموعة كتب تخص القادة، أبرزها المقامات ورحلة السندباد والمعلقات الشعر، ومجموعة من خطب عبلسية ومجموعة من أعشاب البابونج والمرمياً وأعشاب سحرية.[31]

يشير إلى أن بياناتهم مجرد بيانات منمقة، تخلو من مضمون حقيقي، وأنهم يلبسون ثوب الوطنية الزائف، استعانوا بمقامات الحريري وبديع الزمان في تحريرهم لبيان "مجمع القواد"، وخرج كل منهم راكباً حصان صلاح الدين، وأثناء خروجهم سقط مطر أسود،[32] وإشارته إلى المطر الأسود رمز لنتيجة اجتماعهم، ودلالة على اليأس منهم، وعدم الجدوى من مواقفهم التي تظهر على حقيقتها عندما تتعرض المقاومة الفلسطينية للمخاطر، ومحاولات القضاء عليها من قبل الأعداء حيث يقول: "جزار المدينة لف حبلاً سميكاً حول عنق الشمعة.

اجتمع "مجمع القواد.

قال أحدهم: أنا احتج، هذه الطريقة همجية، الإعدام شنقاً لا يلائم مجتمعنا العصري.

قال ثان: لن أشرب قهوة الصباح معك يا جزار.

قال ثالث: إياك أن تمر من حارتنا.

وتوالت التصريحات.[33]

وهذه إشارة جلية إلى المواقف الحقيقية المتخاذلة المتآمرة للأنظمة العربية، ويبدو أن هذه القصة مجرد منشور أو مقال سياسي عن المواقف العربية تجاه قضية الشعب الفلسطيني.

وتتحدث قصة "وقائع التغريبة الثانية للهلالي" عن علاقة الثورة الفلسطينية بالأنظمة العربية، وتشير أيضاً إلى الترائح الاجتاعية للشعب الفلسطيني في المنفي وعلاقتها بالقضية الفلسطينية.

وتعتبر ه1ه القصة اسئلهاماً للتراث الشعبي، وتسخيراُ للسيرة الشعبية لخدمة الواقع، واستعارة لأجواء تغريبة بني هلال، ونجحت في توظيف التراث الشعبي باستخدام لفة قريبة إلى لغة الشعر، حيث يضفي القاص على شخصية الهلالي أبعاد فلسطينية.

كما وتعتبر هذا العمل تصويراً رحلة نفي وتشرد الشعب الفلسطيني بعد النكبة، وقناع يخفي ورائه الواقع، فالتغريبة الثانية للهلالي ما هي إلا تغريبة الشعب الفلسطين، ومسار هجرته ونضاله وتضحياته وصراعه المرير مع الأنظمة العربية التي حاولت عرقلة وإعاقة مسيرة النضال الفلسطيني من أجل التحرير والعودة، مع التأكيد على تصميم الشعب على الصمود، وإصراره على المقاومة مهما كانت الظروف.

وقد لجأ القاص إلى وقائع عامة في تاريخ الفني الفلسطيني، وخاصة محطات رئيسية تشكل مسيرة كفاح الشعب ي المنفي، وانطلاق من مرحلة السكون إلى مرحلة الحركة والعمل والعطاء والتضحية والموت في سبيل مستقبل أفضل.

ويتضح من أحداث القصة أن الغريب الهلالي" يرمز إلى الإنسان الفلسطيني المنفي، وأن "الزناتي" و "شيوخ القبائل" يرمزون إلى الأنظمة العربية المظلمة والمتآمرة على الشعب المنفي الذي يضطر إلى الصدام معها، والتي تقف في وجه "الهلالي" في سبيل تحرير "خضرا" التي ترمز إلى الوطن فلسطين.

خامساً: الرمز إلى العلاقة بين المواطن العربي والسلطة الحاكمة

إن الأنظمة العربية الحاكمة وأجهزتها القمعية المختلفة تمارس شتى صنوف القهر والبطش والعسف ضد المواطن العربي، وتسعى، بكل ثقلها إلى سحق هذا المواطن.

وقد اتخذ القمع أشكالاً مختلفة، منها سوء معاملة الأنظمة للمناضلين الشرفاء من أبنائها، كبت الحريات، تكميم الأفواه، وبث الخوف والرعب في نفوس المواطنين وتحويلهم إلى مجرد بشر مستهلكين.

وقد عالج كتاب القصة القصيرة في الأرض المحتلة هذا الأمر، وذلك من منظور إدراكهم للعلاقة الوثيقة بين تحرير الوطن المغتصب فلسطين وتحرير المواطن العربي.

فمن القصص التي تتحدث عن مصادرة الأنظمة الحاكمة للحريات، كي تحافظ على بقائها واستمراريتها، قصة "عبر النافذة" التي تحكي عن حاكم ظالم، يمارس سياسة القمع ضد الأدباء والشعراء والمطربين، ويعاقبهم ويكبت حرياتهم، ولا يكتفي بذلك، بل يحاول إلغاء وشطب بعض الكلمات والمفردات التي لها علاقة بالحرية والمقاومة والعدل مثل: النضال والتحرر والمساواة والحرية

والديمقراطية والحب والإخلاص والكفاح والتضحية، كي يتخلص من المشاكل التي تسببها له، ويخلق جيلاً جديداً لا يعرف معناها ويسهل عليه حكم الشعب، وبذلك يدوم نظامه ويستمر.

والقاص يرمز من خلال هذا الحاكم إلى الحكام العرب المستبدين الذين يقمعون الحريات ويزيفون الحقائق.

يحيك الكاتب قصته بلغة مكثفة، وجاءت على نمط الحكايات التاريخية، حيث يستعير الأجواء التاريخية دون أن يذكر أسماء محددة، أو يسقط أحداثاً تاريخية على واقع معاصر.

ويبدأ الكاتب قصته بانفعال مؤثر من أجل لفت نظر القارئ وجذبه وإثارة انتباهه كعادته حيث "كثيرا ما ينطلق من منطلق إخباري أو من إثارة إخبارية، إما حركة مثيرة وإما خبر لافت، وإما تقدير يثير الدهشة وإما حادثة غير عادية"،[34] فيقول في بداية القصة: " كان الغضب بادياً على وجه الحاكم عندما عبر باب القاعة واتجه نحو صدر الطاولة التي تخلق حولها رجاله، هل من أخبار جديدة،[35] ولجوء الكاتب لمثل هذا النوع من البدايات راجع لكونه صفحي، ينطلق في مقاولاته من منطلقات مثيرة لشد القارئ.

الهوامش

(1) سحر الرمز، د. عبدالهادي عبر عبدالرحمن، ص/41، ط/1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1999.

(2) التفاعل الرمزي، عالم الفكر، قيس النوري، ج/15، الكويت 1985م، ص/22.

(3) الأدب الرمزي، هنري بير، ترجمة هنري زعيب، ص/7، ط/1، منشورات عويدات، بيروت، 1981.

(4) النقد العربي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص/39، دار نهضة مصر، القاهرة، 1979م.

(5) الرمز الشعري عند الصوفية، د. عاطف جودة نصر، ص/19، دار الأندلس ودار الكندي، بيروت 1978م.

(6) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد، ص/8، ط/2، دار المعارف القاهرة، 1978م.

(7) آل عمران 3/41.

(8) لسان العرب إعلاد عبدالله علي الكبير وآخرون، إبن منظور، ص/1727، دار المعارف، بيروت، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص/183، ج/2، ط/2، شركة البابي الحلبي، القاهرة، 1952.

(9) البيان التبين، الجاحظ، ص/70، ج/1، العمدة، وإبن رشيق، تحقيق، محي الدين بن عبدالمجيد، ص/306، دار الجيل، 19981م،

(10) البرهان في وجه البيان، أحمد مطلوب، مطبعة المعاني، بغداد 1976م.

(11) الرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندي، ص/44.

(12) الرمز ودلالته في الشعر العربي الفلسطيني الحديث، ص/4، جامعة الفتاح، ليبيا، 2002م.

(13) نقد النثر، تحقيق كمال المصطفى، قدامة بن جعفر، ص/61-62، مكتبة الخانجي، القاهرة 1979.

(14) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، محمد الوالي، ص/192، ط/1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م.

(15)اللارس المسرحية المعاصرة، نهاد صلحية، ص/13الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة1982م.

(16)التفاعل الرمزى، قيس النورى، عالم الفكر، المجلد15، العدد4، الكويت1985م.

(17)قانون المحتل، رجا شحادة، ص/156، ط/1، مؤسسة الدرسات الفلسطينية، جامعة الكويت، 1990م.

(18)أساسيات في القصة القصيرة، عزت الغزاوي، ص/36، العدد34، مجلة الفجر الأدبي، 1983.

(19)مصادرة الأراضي في المناطق المحتلة، إحسان نزار عطية، ص/27، جميعة الدرسات العربية، القدس، 1980م.

(20)دراسات في القصة المحلية، نبيه القاسم،

(21)الشارع الأصفر، توفيق فياض، ص/52، ط/1، مطبعة وأوفست الحكيم، الناصرة، 1968م.

(22)القرية الموعودة، إبراهيم العلم، ص/31، ط/1، منشورات البيادر، القدس، 1982.

(23)المصدر السابق، ص/33.

(24)المصدر السابق، ص/35.

(25)المصدر السابق، ص/36.

(26)في نقد الأدب الفلسطيني، د. نبيل أبو علي، ص/282.

(27)البراغيث تغزو جزيرة القمر، محمد زحالكة، ص/233، ضمن كتاب المهرجان الوطني الأول للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة، منشورات الملتقى الفلسطيني العربي، القدس، 1981م.

(28)المصدر السابق: ص/232.

(29)جسر على النهر الحزين\ محمد على طه، ص/87، ط/2، منشورات الصلاقة، الناصرة، 1978م.

(30)جسر على النهر الحزين، محمد علي طه، ص/103.

(31)جسر على النهر الحزين، محمد علي طه، ص/105.

(32)المصدر السابق: ص/106.

(33)المصدر السابق: ص/107.

(34)مع أكرم هنية، مجلة الكاتب، د. عبدالرحمن ياغي، ص/21، العدد1، مجلة الكاتب، القدس آذار، 1981م.

(35)طقوس ليوم واحد، كرم هنية، ص/129.

Bibliography

Ihssan Nizar Attia, Confiscation of Lands in the Occupied Territories, p. 27, The

Izzat Al-Ghazzawi, Basics of the Short Story, p. 36, No. 34, Al-Fajr Al-Adaby

Karam Haniyeh, A One-Day Ritual, p / 129.

Mohamed Fattouh Ahmed, the symbol and symbolism in contemporary poetry, d. P /

Muhammad Fattouh Ahmed, The Symbol and Its Significance in Modern Palestinian

Muhammad Ghanimi Hilal, modern Arab criticism, d. P / 39, Dar Nahdet Misr, Cairo,

Muhammad Zahalka, p. 233, within the book The First National FestivaMuhammad Ali Taha, Bridge over the Sad River, p / 105.

Nabil Abu Ali, in criticism of Palestinian literature, d. P / 282.

Nihad Salhiyeh, the contemporary theater student, p. 13 The Egyptian General Book

Poetic Image in Rhetorical and Critical Discourse, Muhammad Al-Wali, p. 192, i / 1,

Qais Al-Nouri, Symbolic Interaction, The World of Thought, C / 15, AD, p. 22.

Qais Al-Nouri, Symbolic Interaction, The World of Thought, Volume 15, Issue 4,

Qudamah Bin Jaafar, Criticism of Prose, Edited by Kamal Al-Mustafa, pp / 61-62,

Rajashhadeh, The Occupied Law, p. 156, i / 1, The Palestinian Studies Foundation,

Tawfiq Fayyad, The Yellow Street, p. 52, i / 1, Al-Hakim Offset Press, Nazareth, Ibrahim Al-Alam, The Promised Village, p / 31, ed / 1, Al-Bayader Publications,

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.